كيف تعرفت على نجيب محفوظ؟

ولد نجيب محفوظ بحى الجمالية الذى هو أحد أحياء منطقة «الحسين» بمدينة القاهرة الفاطمية، فى ١١ ديسمبر ١٩١١، والاسم الكامل لنجيب هو «نجيب محفوظ عبد العزيز إبراهيم أحمد الباشا» وأصل أسرته من مدينة «رشيد» على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

وكنا قد قرأنا فى بعض الصحف القديمة أن اسم «نجيب محفوظ» ينتهى بلفظ غريب هو «السبيلجى» وتصورنا لفترة من الوقت أن الاسم الكامل لهذا الأديب الكبير هو «نجيب محفوظ عبد العزيز السبيلجى». ولم أكن أفهم معنى لكلمة «السبيلجى» العجيبة هذه، وخطر لى أنها اسم ينحدر إلى الأسرة من أيام المماليك أو ما يشبه ذلك، حتى شرح نجيب محفوظ الكلمة فى أحد أحاديثه الصحفية، وتبين أن الأمر كله لا يعدو أن يكون نكتة أو فكاهة طريفة.

يقول نجيب محفوظ إن كلمة «السبيلجى» لا علاقة لها باسم أسرتى، «فهى كلمة أطلقها صديقى الدكتور أدهم رجب، فقد كان لى جد يعمل ناظرا لكتاب من الكتاتيب القديمة، وكان لهذا الكتاب سبيل، وكنت أحكى لأصدقائى هذه الحكاية، فقال لى أدهم: اطلع يا ابن السبيلجى!».

والسبيل كما هو معروف فى مصر هو المكان الذى يعد ليشرب منه العابرون، وقد كانت «الأسبلة» من أعمال الخير المشهورة، وما زالت قائمة إلى الآن فى بعض الأرياف والمدن الصغيرة، كما أن هناك «أسبلة» تُعَدّ من الآثار الإسلامية المهمة فى مدينة القاهرة.

وقد يتساءل البعض الآن: ماذا بقى ليقال عن نجيب محفوظ بعد عشرات الكتب والدراسات والأحاديث التى أجراها مع الآخرين؟ إن الأدب العربى لم يعرف فى ماضيه وحاضره أديبا نال من الاهتمام مثلما حدث مع نجيب محفوظ حتى ليصح أن نقول عنه، كما قيل فى الماضى عن المتنبى: «إنه ملأ الدنيا وشغل الناس». والحقيقة أن نجيب محفوظ

نفسه لم يفعل شيئا من أجل إثارة اهتمام الناس الواسع به، فالرجل قد بذل جهده فى تركيز شديد على إنتاجه، وظل معنيا أشد العناية بكتاباته الأدبية بحيث تكون هذه الكتابة مرتبطة بالأحداث والتجارب والمشكلات الكبرى التى يمر بها مجتمعه من ناحية، وبحيث تستفيد من التطورات السريعة التى يمر بها الذوق العربى والثقافة العالمية معا. وبسبب الإخلاص الشديد للعمل الأدبى، والوعى الدقيق بما يجرى من تطورات على الساحة الثقافية العربية والعالمية، وصل نجيب محفوظ إلى القمة التى وصل إليها ولفت أنظار الدنيا كلها إليه.

وبالطبع، فإن نجيب محفوظ لم يكن يستطيع أن يصل إلى ما وصل إليه بالجهد والإخلاص وحدهما، فقد كانت لديه الموهبة الأصيلة الكبيرة، والتى تولد مع الإنسان، ولا دخل لغير الله في صنعها، فلولا هذه الموهبة الطبيعية ما استطاع الجهد أو الإخلاص أن يصنعا شيئا أو يحققا هدفا أو نتيجة. ولكن علينا أن ننتبه من ناحية أخرى، إلى أن الموهبة مهما كان حجمها يمكن أن تموت، لو أن هذه الموهبة لم تجد رعاية حقيقية من الجهد والإخلاص، فالموهبة مثل الجمال والمال، يمكن أن يتبددا إذا ما عوملا بإهمال واستهانة وغرور وسوء تدبير.

وبالنسبة لنجيب محفوظ فقد اجتمعت له الموهبة مع الإرادة القوية الأصيلة لحماية هذه الموهبة واستثمارها وصيانتها من الضياع والفساد. ومن هنا كان نجاحه العظيم مثالا فريدا للتوفيق الكامل بين الموهبة الطبيعية والإرادة الإنسانية القوية التى تتميز بالعزيمة والإخلاص معا.

ونعود إلى السؤال المطروح وهو: ماذا بقى ليقال عن نجيب محفوظ؟ وأسارع بالإجابة فأقول: إن نجيب محفوظ يمثل فى أدبه وإنسانيته معا عالما غنيا رحبا لن ينتهى ما يقال عنه فى هذا الجيل أو فى الأجيال القادمة، ونجيب محفوظ لا يعطينا أفكارا عن النجاح الأدبى فقط بل هو يعطينا الكثير من الأفكار الغزيرة عن الشخصية الإنسانية العظيمة التى يمثلها على خير وجه وأحسن صورة، فإن أردت أن تفكر فى أديب عظيم، فسوف نجد نجيب محفوظ نموذجا حيا لذلك الأديب، وإن أردت أن تفكر فى إنسان عظيم فسوف تجد فى نجيب محفوظ أيضا نموذجا حيا لذلك الإنسان الجميل.

وأذكر أننى تعرفت على نجيب محفوظ لأول مرة فى حياتى سنة ١٩٥١، وأنا لم أبلغ السابعة عشرة من عمرى بعد، وكنت قد جئت من قريتى الصغيرة «منية سمنود» فى

محافظة الدقهلية (المنصورة) إلى القاهرة لأدخل الجامعة، بعد أن أنهيت تعليمى الثانوى، وقد سعيت منذ أن وضعت قدمى فى القاهرة إلى التعرف على الناقد الكبير الراحل أنور المعداوى، الذى كنت أقرأ له بانتظام وحماسة وحب، وأعُدّ نفسى من تلاميذه ومريديه. وتعرفت على «أنور» فى مقهى «عبد الله» بالجيزة، وهو مقهى شعبى متواضع، تعود أنور أن يذهب إليه كل ليلة ليلتقى فيه أصدقاءه وتلاميذه، وكان هذا المقهى أشبه بندوة أدبية دائمة ومفتوحة. ومنذ أن تعرفت على أنور المعدواى، أصبح هذا الرجل النبيل بمثابة والد وأستاذ لى، وقد وجدت منه ـ وأنا الريفى البسيط الخائف أشد الخوف من المدينة ـ كل ما أحتاج إليه من عون ورعاية وحب وتشجيع. وتلك ذكريات أرجو أن يتيح لى الله من العمر والصحة وهدوء البال ما يمكننى من تسجيلها، ففيها صورة للحياة الأدبية فى الخمسينيات تختلف كل الاختلاف عن الحياة الأدبية الراهنة فى أواخر القرن العشرين. وأهم ما كان يميز تلك الحياة الأدبية القديمة هو ما كانت تفيض به من التعاطف والحنان والعلاقات الإنسانية الحميمة، ولم يكن الأدب فى تلك الأيام مصدرا من مصادر الكسب المادى، بل كان عملا يقوم على الهواية والعاطفة الخالصة والرغبة فى المعرفة والارتقاء بالذوق والسلوك، ولذلك لم تكن الحياة الأدبية تعرف الصعوبات والصراعات العنيفة القائمة الآن فى ساحة الثقافة.

كنت قبل أن انتقل إلى القاهرة سنة ١٩٥١ قد قرأت معظم روايات نجيب محفوظ التى صدرت حتى ذلك الحين مثل «القاهرة الجديدة» و «خان الخليلى» و «زقاق المدق» و «بداية ونهاية»، وكان من أحلامى بعد أن تعرفت على أنور المعداوى، أن أتعرف على نجيب محفوظ، وصحبنى «المعداوى» إلى ندوة نجيب محفوظ الأسبوعية، والتى كان يعقدها كل يوم جمعة فى «كازينو أوبرا» المعروف فى وسط القاهرة. وقدمنى المعداوى إلى نجيب محفوظ فى كلمات تفيض بالحب والتشجيع حيث قال لنجيب محفوظ: أقدم إليك هذا الشاب الصغير وأؤكد لك أننى لو مت الآن فسوف أموت مطمئنا على مستقبل النقد الأدبى من بعدى. فهذا الشاب هو الذى سوف يتسلم الراية ويواصل المسير.

وكدت أموت من الخجل والذهول وأنا أستمع إلى المعداوى وهو يقدمنى إلى نجيب محفوظ بهذه الكلمات، ولم يكن عندى ذرة من الغرور تسمح لى بأن أصدق كلمات المعداوى أو أراها شيئا يجاوز حدود التشجيع، الذى كان المعداوى يمنحه لى ولغيرى من الشبان المحيطين به، بل لعلنى كنت أعانى من شىء آخر هو قدر زائد من عدم الثقة بالنفس، كان المعداوى يعرف أنه من صفاتى الأساسية، وكان يبذل كل جهده لمعالجة هذا

الأمر وتحرير نفسيتى من آثاره الضارة، وعلى رأسها الرغبة الشديدة فى الانطواء والخوف من الاندماج والاحتكاك بالناس. وبعد أن قدمنى المعداوى هذا التقديم الذى أخافنى وأذهلنى، توقعت من نجيب محفوظ رد فعل يتسم بعدم المبالاة، وتصورت أنه أدرك أن المعداوى إنما يجاملنى ويشجعنى، ولكنى فوجئت بنجيب محفوظ يضحك ضحكته القوة المدوية المعروفة عنه إلى الآن ويقول للمعداوى:

ـ لا والنبى.. ما تموتمش دلوقتى.. اصبر علينا شوية!!

وهكذا تخلص نجيب محفوظ من الموقف كله، وخلصنى معه، بمرحه وخفة ظله. ومرت هذه اللحظة الصعبة بالنسبة لى فى سلام، وجلسنا مع نجيب محفوظ طيلة الندوة التى استمرت أكثر من ساعتين، ولا أذكر أننى نطقت بحرف واحد فى تلك الجلسة بل بقيت صامتا، لا فرق بينى وبين الكرسى الذى كنت أجلس عليه.

لم يكن جديدا عندى أن يكون المعداوى إنسانا كريما مليئا بعاطفة الحنان نحوى ونحو تلاميذه الكثيرين. ولكن الجديد كان ما اكتشفته من اللحظة الأولى عند نجيب محفوظ من حس فكاهى ساخر بعيد كل البعد عن المرارة أو الرغبة فى إيذاء الآخرين. وقد تأملت نجيب محفوظ كثيرا فى هذه الجلسة، وبدا لى أنه إنسان بسيط فى مظهره وسلوكه، وأنه يثق بنفسه، ولكنها ثقة خالية من أى غرور أو ادعاء. كما لاحظت أنه يعبر عن نفسه فى وضوح ودقة، ولكنه واسع الصدر شديد التسامح، حريص كل الحرص على حسن الاستماع إلى الآخرين واحترام آرائهم حتى لو كانوا يختلفون معه أشد الاختلاف.

ومنذ أن تعرفت على نجيب محفوظ سنة ١٩٥١ أى منذ أربعين سنة، حرصت كل الحرص على متابعة نجيب محفوظ فى إنتاجه الأدبى، وأحببت شخصيته الإنسانية حبا قويا، فوثقت علاقتى الشخصية به بقدر ما أستطيع، ووجدت ترحيبا كريما منه، مما أتاح لى فرصة ثمينة للتعرف على نجيب محفوظ كأديب وإنسان، ومحاولة فهمه على الوجه الصحيح، ولم أدخر جهدا، فى حدود ظروفى وطاقتى، إلا وبذلته دفاعا عن أدب نجيب محفوظ، ولم أفعل شيئا من ذلك إلا عن اقتناع كامل وتقدير حقيقى ومحبة خالصة لهذا الأديب الكبير، صاحب الشخصية الإنسانية النادرة.

ولا شك فى أن جانبا من حبى لنجيب محفوظ موروث من أستاذى أنور المعداوى، الذى توفى سنة ١٩٦٥، وكان فى الخامسة والأربعين من عمره، ففقدت الحياة الأدبية العربية بفقده موهبة أدبية لامعة فى ميدان النقد، وفقدت فيه أنا على المستوى الشخصى أبا

وأستاذا من أكرم الآباء والأستاتذة، ولعل الله قد أراد بحكمته أن أعيش بعده ليتيح لى أن أقوم بواجبى فى تذكير نفسى وتذكير الناس بفضله وموهبته وعلمه وإنسانيته.

وقد كان لى مع نجيب محفوظ تجارب كثيرة أود أن أذكر بعضها فى هذا الفصل تحية له ومحبة.

ومن هذه التجارب أننى عندما كنت رئيسا لتحرير مجلة الهلال أصدرت عددا خاصا عن نجيب محفوظ فى فبراير سنة ١٩٧٠، وقد فتح لى نجيب قلبه، وساعدنى بكل ما يملك ويستطيع على إصدار هذا العدد فى صورة قوية ناجحة، وعندما أضع هذا العدد أمامى الآن أشعر بأنه كان عملا ناجحا وممتازًا بكل المقاييس، وأن الفضل فى ذلك يعود أولا وقبل كل شىء إلى نجيب محفوظ نفسه، فلم يتردد نجيب محفوظ فى تقديم أى معلومات أو الإجابة عن أى أسئلة، أو توفير أى صور قديمة ممكنة، مما ساعدنى على أن أقدم عددا من أجمل الأعداد الخاصة التى أصدرتها الصحافة الثقافية العربية فى هذا الجيل. وقد نفد هذا العدد فور صدوره وسعد به نجيب محفوظ وعَدَّه مصدرا أساسيا من مصادر دراسة حياته وأدبه. أما أنا فقد رضيت أشد الرضا لأننى استطعت أن أعبر عن حبى لنجيب محفوظ وإعجابى الكامل بأدبه تعبيرا بلغ هذا القدر من التوفيق والنجاح، بفضل ما وفره نجيب محفوظ من مادة غنية قيمة.

وخلال رئاستى لتحرير مجلة الهلال علمت من نجيب محفوظ أن عنده عددا من القصص القصيرة لم يستطع نشرها فى جريدة «الأهرام»، لأن الأهرام وجدت «صعوبة سياسية» فى نشر هذه القصص، وكنا ما زلنا فى عصر عبد الناصر، وفى ظروف ما بعد نكسة ١٩٦٧، وكان هناك جو من الشك والحذر يحيط بكل كلمة تكتب، خصوصا أننا كنا فى معركة ساخنة مع إسرائيل التى كانت تحتل سيناء كلها وتقف على الضفة الشرقية لقناة السويس، وكانت إسرائيل تقوم بغارات عنيفة على القاهرة وبعض المدن المصرية الأخرى. وفى هذا المناخ كانت جريدة «الأهرام» تتحفظ فى نشر أى شىء تفوح منه رائحة النقد أو الاعتراض، وكنت من جانبى متحمسًا لفكرة أساسية، وهى أن من الضرورى أن يكتب الجميع ما يحسون به ما دامت الكتابة صادقة وأمينة، وما دام صاحبها حسن النية ومشهودًا له بالوطنية، ومن هنا طلبت من نجيب محفوظ أن يعطينى القصص المرفوضة فى الأهرام لأنشرها فى الهلال. ووافق نجيب محفوظ، وقمت بنشر هذه القصص، واندهش الناس، وكان البعض يحذرنى من سوء المصير ويتنبأ لنجيب محفوظ بمصير أسوأ، لأن القصص كانت مليئة بالغضب ضد ما آلت إليه حالنا بعد نكسة ١٩٦٧.

ولكنها شهادة للتاريخ أقولها الآن (١٩٩٥)، وبعد مرور ما يقرب من ربع قرن على هذه الواقعة، أن أحدا من المسئولين لم يؤاخذانى على الإطلاق بسبب نشر هذه القصص، ولم يطلب منى أحد أن أتوقف عن نشرها. مما يدل على أن الوطن كان مشغولا بأزمته الكبيرة. وأن الصدق فى التعبير ليس خطراً على الناس فى الأزمات الكبرى، وفى الأيام الحاسمة. بل إن مثل هذا الصدق هو فى جوهره تقوية للإنسان وإبعاد له عن أى خداع للنفس. ومن لايخدع نفسه هو على الدوام أقوى بكثير من الذى يستسلم لمثل هذا الخداع.

وهذه القصص التى أتحدث عنها منشورة معظمها فى مجموعة نجيب محفوظ التى سماها «تحت المظلة» ويستطيع من يشاء أن يعود إليها ليدرك ما فيها من جرأة وشجاعة روحية وقوة فنية ورؤية إنسانية سليمة.

وتمر الأيام بعد ذلك وأنتقل من مجلة الهلال لأعمل رئيسا لتحرير مجلة «الإذاعة والتليفزيون» فى إبريل ١٩٧١. وكانت هذه المجلة قبل أن أتولى مسئوليتها تحصر نشاطها حول ما يتصل بالإذاعة والتليفزيون وحدهما. ولكننى رأيت أن فى ذلك تضييقا لرسالة المجلة، وقررت ـ مادمت مسئولا عنها ـ أن أنطلق بها إلى أوسع مجالات التعبير الثقافى من أدب وفن وفكر. وكالعادة ذهبت إلى نجيب محفوظ لأسأله إن كان لديه جديد أستطيع أن أنشره فى مجلة «الإذاعة والتليفزيون»، فقال لى إن لديه رواية اسمها «المرايا» قدمها إلى «الأهرام» كما تعود أن يفعل، ولكن «الأهرام» ترددت فى نشرها، لنفس الأسباب التى دفعتها إلى الاعتذار من قبل عن عدم نشر قصصه القصيرة. وقلت لنجيب محفوظ: إذن فسوف أنشر هذه الرواية إن سمحت لى بذلك. ووافق نجيب محفوظ وحصلت على الرواية وقرأتها وفتنت بها، وحملتها إلى وزير الإعلام فى ذلك الحين الأستاذ محمد فايق ورويت له القصة كاملة، بما فيها اعتذار الأهرام عن عدم نشر الرواية، فقال «فايق»: هل قرأت الرواية؟ قلت: نعم. قال: هل تجد فيها شيئا يثير القلق؟ قلت له: لا. إنها عمل أدبى جميل وصادق يروى فيها نجيب محفوظ جانبا من تجاربه الخاصة مع شخصيات عرفها وشخصيات أخرى تخيلها، ونجيب ينقد فيها بعض الأوضاع والنماذج الإنسانية الشائعة فى المجتمع. وهو نقد قوى عميق وفى موضعه. ثم قلت له فى حماسة: إن الأدب الصادق ياسيدى «يقوى» الأمة ولا يضعفها، وأنا شديد الإيمان بأن الأدب العظيم «يبنى» ما يستحق البناء و«يهدم» ما يستحق الهدم. ووافق «محمد فايق» على نشر الرواية دون تردد واستأذنته فى أن نعطى لنجيب محفوظ «مكافأة» مالية مساوية لما يتقاضاه من

«الأهرام» عن نشر رواياته، وكانت هذه المكافأة فى ذلك الحين هى ألف جنيه مصرى، وكان مبلغا ضخما جدا فى وقته، وهو لا يقل الآن فى قيمته الفعلية عن عشرين ألف جنيه على أقل تقدير. ووافق الوزير على ذلك برغم أن مجلة «الإذاعة والتليفزيون» كانت مجلة صغيرة، وأضعف اقتصاديا بكثير من «الأهرام».

وكنت قد تعرفت قبل ذلك بفترة قصيرة على الرسام الإسكندرانى العالمى الكبير «سيف وانلى»، فخطرت لى فكرة نشر رواية «المرايا» مصحوبة بلوحات مستوحاة منها «لسيف وانلى»، وعرضت الفكرة على «سيف» فسعد بها جدا، وتحمس تحمسا شديدا لها، وبالفعل نشرت الرواية مع لوحات «سيف» التى تقرب من ستين لوحة، وكانت من أبدع ما أنجزته عبقرية «سيف وانلى» من أعمال فنية، وتمثل هذه اللوحات الآن تراثا فنيا ثمينا مستوحى من رواية «المرايا» وتصلح هذه اللوحات لمعرض فنى كامل ونادر. ولكن «سيف» رحل عن عالمنا ولم يعد هناك من يهتم بأعماله اهتماما لائقا.

وقد أحدثت هذه الرواية أثرا طيبا جدا عند نشرها، وارتفع توزع مجلة الإذاعة والتليفزيون بفضلها ارتفاعا ضخما حتى وصل إلى مصاف مجلات الدرجة الأولى فى مصر. ولم يثر نشر «الرواية» أى ردود فعل سلبية على الإطلاق.

وتمر أيام أخرى بل سنوات كثيرة، ويتاح لى أن أتولى رئاسة تحرير مجلة «الدوحة» القطرية من يناير سنة ١٩٨١ حتى أغسطس سنة ١٩٨٦، وفى هذه الفترة كان اسم «نجيب محفوظ» موضوعا على رأس قائمة الأسماء التى تقررت مقاطعتها فى العالم العربى لا لجريمة ارتكبها نجيب محفوظ تسىء إلى قوميته ووطنيته وإيمانه بعروبته، بل لأنه أدلى بآراء يدعو فيها دعوة صريحة إلى حل الصراع «العربى ـ الإسرائيلى» حلا سلميا. وكنت أعرف أن هذا الرأى من الآراء القديمة التى يؤمن بها نجيب وخاصة بعد حرب ١٩٧٣، وقد ناقشته فى هذا الرأى مرارا، بل وعارضته فيه أحيانا، ولكننى على الدوام كنت أشعر بأمانته وصدقه وإحساسه الكامل بالمسئولية وهو يدافع عن رأيه. وكانت وجهة نظره قائمة على أساس أن القوى العالمية الكبرى شرقا وغربا، لن تسمح لنا أبدا بالقضاء على إسرائيل، بل ولن تسمح لنا بالانتصار العسكرى النهائى عليها، وأننا إذا دخلنا دوامة الحرب فسوف نخرج من موقعة إلى موقعة ومن دمار إلى دمار، وسوف نرهن حاضرنا ومستقبلنا لقضية واحدة هى التسليح المستمر. وبذلك فلن نستطيع أن نواجه أى مشكلة أخرى من مشاكلنا الكثيرة المتراكمة. والحل الصحيح هو أن نقيم سلاما يمكننا من بناء أنفسنا بحيث لا نتخلف عن العصر الذى نعيش فيه، وفى ظل السلام علينا أن نأخذ كل ما نستطيع أن نحصل عليه

من حقوقنا العادلة، فإن ضاع منا شيء فالمستقبل كفيل بإعادته، مع تقدمنا ونهضتنا وقدرتنا على إقناع العالم بما لنا من حقوق.

ولا تخرج وجهة نظر نجيب محفوظ عن وجهة النظر التى قبلها الفلسطينيون والعرب جميعا فى الوقت الراهن.

ولذلك كنت أحس فى أعماقى أن «مقاطعة» نجيب محفوظ عربيا أمر لا مبرر له. فالرجل ينصح قومه بما يراه ويحسه ويؤمن به ويخاف عليهم من أن يتجاوزهم الزمن تجاوزا لاعلاج له إذا استمروا مستسلمين لمنطق «الحرب» وحده فى ظل مناخ دولى لا يمكن أن يساعدهم على ذلك، بل على العكس فهو مناخ يؤدى بهم إلى تبديد ثروتهم وإمكاناتهم كلها دون أى نتائج إيجابية.

ومن هنا بذلت جهودا كبيرة جدا، لكسر المقاطعة العربية لنجيب محفوظ فى حدود إمكاناتى التى كانت تتمثل فى أن أنشر له أعماله فى مجلة «الدوحة»، وقد نجحت هذه الجهود بفضل المساعدة الكاملة من رجال مخلصين أقوياء، على رأسهم الدكتور عيسى غانم الكوارى وزير الإعلام القطرى فى ذلك الوقت والوزير المسئول فى الديوان الأميرى بقطر الآن، وكانت نتيجة هذه الجهود أن أصبح مسموحا بأن أنشر لنجيب محفوظ ما أشاء من أعماله فى مجلة «الدوحة»، وأصبح ذلك مسموحًا لمجلات ثقافية أخرى تصدر فى الخليج.

ونشرت لنجيب كثيرا من قصصه القصيرة، فى مجلة «الدوحة». وكان لنشرها أطيب الأثر على الرأى العام الأدبى فى الوطن العربى كله. وقد ظهرت هذه القصص التى نشرتها لنجيب محفوظ فى الدوحة فى مجموعته «الفجر الكاذب» وهى من أجمل أعماله الفنية.

لقد كان التعامل مع نجيب محفوظ يكشف لى دائما عن فضائله الكثيرة، ومنها الأمانة والصدق مع النفس ومع الآخرين، والتواضع والتسامح وسعة الصدر وعدم اللهفة على أن مكسب من أى نوع، والرفض الكامل لأن يربط بين ما يكتبه وبين عملية النشر، فهو يكتب ما ينضج فى ذهنه أولا وقبل كل شيء، ثم يقدمه للنشر بعد ذلك، ولا تستطيع أى مجلة أو صحيفة أو مؤسسة نشر أن تتفق معه على أن يكتب لها شيئا لم يكتبه بالفعل، أى أنه منذ بدايته لا يكتب بناء على طلب من الخارج، بل هو يكتب فقط ما يحس به وما يعبر

عن تجربته، فإن لم يجد ما يكتبه توقف عن الكتابة، حتى لو كانت هناك عروض شديدة الإغراء، فالدافع الأساسى للكتابة عنده هو دافع داخلى وليس دافعا خارجيا.

ولعل من أثمن تجاربى وذكرياتى مع نجيب محفوظ هو أننى قضيت الجزء الأخير من عام ١٩٩٠ والجزء الأول من عام ١٩٩١ فى تسجيل سيرته الشخصية والأدبية بالتفصيل الدقيق، فوضعت أمامه جميع الأسئلة التى تتصل بحياته وأدبه، وأجاب عنها جميعا برحابة صدر ودون استبعاد شىء من أسئلتى. وكانت مواعيده معى ـ كعادته دائما ـ فى غاية الدقة والنظام مما أتاح لى أن أحصل على «مادة» غنية وثمينة، أعكف على كتابتها كلما اتسع الوقت أمامى لذلك، حتى أتمكن من تقديمها فى كتاب أرجو أن يكون ـ بفضل ما حصلت عليه من مادة ـ نافعا ومضيئا لحياتنا الأدبية فيما يتصل بأعمال نجيب محفوظ وشخصيته. وهذه «المحاورات» هى فى الأصل فكرة طرحتها السيدة «نوال المحلاوى» رئيسة مركز الأهرام للنشر، فرحبت بها كما رحب بها نجيب محفوظ، وقد تأخرت فى إصدارها حتى الآن لما تحتاج إليه من جهد وفراغ كبيرين، وأرجو أن أنتهى منها لتصدر فى آخر عام ١٩٩٥ الحالى.